البحث (٨)

الرسول ﷺ الأسوة الحسنة

أ . د / نجاح عبد الله البياع

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد بقسم الدعوة

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن
كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾

" سورة الأحزاب الآية رقم : ٢١ "

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ...

إن الحمد لله ... نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... خلق الإنسان علمه البيان .... والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين وعلي آله وصحبه .. الذين التفوا حوله وساروا على دربه فاختاروا المطعم الطيب والمشرب الطيب .. والملبس الطيب ...

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ... يوم يعض الظالم علي يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

أما بعد ...

فإن الحاجة ماسة إلي دعاة يفقهون الدعوة الإسلامية حق الفقه، فهم يعيشون في عصر يموج بالاتجاهات الفكرية المتعددة ، التي تريد أن تنال من الإسلام والمسلمين ، وبما أن إسلامنا محفوظ بعناية الله سبحانه وتعالي ، فالواجب علينا :

أن نفقه دعوتنا حق الفقه حتى نكون على مستوى ديننا وحتى ندعو الناس على بصيرة مقتدين بسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام .

* حقاً إننا نعيش مع الرسول صلى الله عليه وسلم موجهاً ومعلماً ولا ريب أن هذه نعمة تستوجب الشكر بل هي من أجل النعم التي يمن الله بها على الإنسان ولذلك كان جيل الصحابة رضوان الله عليهم خير القرون ... وكم كنت أتمنى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم

إلا أنني عندما قرأت قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ..

علمت أنه فينا بسنته وتعاليمه وهديه وتوجيهاته (ﷺ) . وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا تتبع لبعض مواقفه (ﷺ) مستخلصين من ذلك دروسا للدعاة إلى الله عز وجل .

ونحن نلاحظ :

على مستوى الشباب .. التنافس الشديد في حفظ السنة النبوية المطهرة الصحيحة ...

لكن أين نصيبنا من السيرة في هذا التنافس .. يكاد يكون ضئيلا إن لم يكن معدوما .

وهذا ما يدفعني إلى تجلية مواطن الأسوة في سيرته (ﷺ) لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا ...

ثم إن هذه الدروس والعبر والعظات من عناصر الدعوة إلى الله تعالى في المنهج النبوي ... وهي تعنى بلوغها حد النضج لما اشتملت عليه من الحكمة ... ومن مظاهر هذا الطيب أنها خالية من العنف إلا في مناسبته وضعا للسيف في موضعه

نماذج وصور:

وكان في سيرته (ﷺ) نماذج تطبيقية لهذا النضج وهذه الحكمة نقتطف منها ما يلي :

عن أبي ذر قال دخل على رسول الله (ﷺ) رجل يقال له عكاف ابن بشر التميمى فقال له النبي (ﷺ) يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا لك جارية قال ولا جارية قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر بخير قال (ﷺ) أنت إذن من إخوان الشياطين .. ولو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ، إن سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ، وأراذل موتاكم عزابكم ، أبا الشيطان تمر سون ما للشيطان سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرءون من الخنا ، ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ويوسف وكرفس ، فقال له بشر بن عطيه ومن كرفس يا رسول الله قال رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام يصوم النهار ويقف الليل ثم إنه كفر بالله العظيم بسبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة الله عز وجل ثم استدركه الله ببعض ما كان منه فتاب عليه ويحك يا عكاف تزوج وإلا فأنت من المدبرين قال زوجني يا رسول الله قال قد زوجتك كريمة بنت كلثوم الحميري) ([1])

بهذا المنطق الصارم الذي لم يكن عادة الرسول (ﷺ) توجه به لهذا الشاب .. بل وحكم عليه (ﷺ) وهو الذي لا ينطق عن الهوى بأنه من إخوان الشيطان ...

وكان ذلك لأسباب ذكرها شيخي د / محمود عمارة قائلا :

---

١ - مسند الإمام أحمد رقم ٢٢٠٦٦ عن أبي ذر رضي الله عنه .

أولاً : كان عكاف على هذا النحو طاقه معطلة .. لا تقوم بدورها في إعمار الحياة .

ثانياً : وعلى فرض أنه صالح مصلح مأمون الانحراف .. لكن الشيطان الرجيم لا ييأس من التحرش به وإيقاعه في حبائله ومنها النساء بما لهن من فتنة .. وإغراء ..

ثالثاً : وقد نجح الشيطان المريد فعلا فورط واحدا من الصالحين في الخطيئة وهو يوسف كرفس ويوشك عكاف لو استمر عذباً أن يصل إلى نفس النهاية الأليمة ..

رابعاً : ثم إن هناك في زوايا البيوت فتاة صالحة فاتنة يمكن بالزواج أن تبنى مع مثل عكاف عشا جميلا يكون محضنا للأجيال ..

خامساً : إذا طلق عكاف فكرة الزواج وكبر عليها أربعا فسوف يكون بهذا الإضراب سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ..

سادساً : إذا كان مطل الغنى ظلما .. كما أشار الحديث الشريف فإن مطل الفتى القادر على الزواج أشد ظلما حين يطلق فكرة الزواج لما يترب على ذلك من تدمير طاقتان بالحرمان .. قبل أن محضنا آمنا لأطفالنا وهم غدنا الحر يترقب ....

وربما قلده آخرون في العزوف عن الزواج تقليدا سوف يكون مقدمة لانحرافات كان من الممكن تلافيها بالزواج ذلك الحصن الآمن .. وقت يكون الفتى ملكا يمشي على الأرض ولكن هذه الأرض لا تخلو من شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى

بعض زخرف القول غرورا .. غرورا ينتهي بممارسة الفاحشة التي قد يتورط فيها لما قرر البقاء في العراء.. بلا زوجة تحميه

يعينه على ذلك طبيعة الرجولة ... التي قد تزين للذكر أن يفعل ما يريد) [١] .

تعقيب

قد ينال الإنسان باللين ما لا ينال بالشدة كما يقولون ..

إنك لو استعرضت معي سنة الرسول (ﷺ) لحملك هذا على استبعاد هذا الحديث من قول الرسول ﷺ ... لكن الله يعين نبيه ﷺ فهو يخاطب الإنسان بما يصلح حاله .. وينفعه .. لأن البلاغة هي مقتضى الحال ....

ورسول الله (ﷺ) سيد البلغاء وسيد البشر وسيد الدعاة وطبيب النفوس (ﷺ) فإذا به يلمح شابا قويا جلدا يضج حيوية ... ومعه عملة صعبه (يورو أو دولار) ولم يتزوج .. أي أنه موسر .. فالمظهر والمخبر يقولان لماذا لم يتزوج ؟؟

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية صاحب فراسة قلما تخطئ ..

الحليلة أم الخليلة :

الشباب الذي يعرض عن الزواج إنما أنه حضور أو له طرق شيطانية .. توقعه في الحرام فيكون بذلك والعياذ بالله

---

١ – مجلة الأزهر شوال ١٤٢٤ هـ السنة ٧٦ مقال للأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية .

إبليس نفسه يتحرك بين البشر .. فهل هذا الشباب يريد أن ينتقل من فراش إلى

فراش وهو كالفراشة كما يقولون ... مع أن الله لعن الذواقين من الرجال والذواقات من النساء فإذا بالرسول (ﷺ) يقول :

ويحك وهي كلمة تحذير وزجر وردع وقل فيها ما شئت لماذا ؟ لأن نسبه الغفلة عند هذا الشاب قوية جدا فهو معرض كلية عن الزواج الشرعي الحلال ..

وهذا لا ينفع معه اللين بل هو يريد سوط عذاب يوقظه .. من غفلته التي هو فيها.. بل غارق فيها ويحك إذا لا بد من أن يكون الرسول مع أنه مبشر لابد وأن يكون نذيرا فها هو الإنذار الذي وصل إلى درجة الغليان .. لماذا لأن الشباب نائم وغارق في النوم فلا توقظه بكلمة هادئة وديعة .. يا بني .. لا ثم لا .. بل يحتاج إلى صوت ورعد وبرق .... (ويحك) فجاء التعبير مطابقا لحال عكاف (ويحك) مع ملاحظة إنك من إخوان الشيطان فاستخدم إن وحرف الخطاب كأنه يقول ذلك مخاطبة لك أنت بالذات ويضاف إلى ذلك إخوان ولم يقل من أصحاب الشيطان ، لأن إخوان ألصق ..

ولاحظ أيضا أنه من إخوان الشياطين كلهم جميعا .. وليس شيطاناً واحد من الإنس والجن .. بل من الكل .

الرسول المعلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي (ﷺ) يحدث الناس فجاء أعرابي فقال يا رسول الله متى الساعة ؟؟

فمضي رسول الله في حديثه فقال بعض الناس سمع ما قال فكره ما قال وقال آخرون بل لم يسمع ، فلما قضي النبي (ﷺ) حديثه وقال أين السائل عن الساعة قال هاأنذا يا رسول الله قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة وكيف إضاعتها إذ ا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة [١] .

قال ابن حجر في الفتح : المراد بالأمر جنس الأمور المتعلقة بدين العزيز الغفور سبحانه وتعالى ..

يراد بهذا الأمر الخلافة العظمي والإمارة والولاية والقضاء والإفتاء وما شاكل ذلك وصار أسعد الناس لكع بن لكع فانتظر الساعة[٢] .

يشير الحديث إلى أن هذا الأمر إذا وقع فقد تغير العلم وعم الجهل وانتشر وهذا ما يحصل في آخر الزمان من أمور وتغيرات

كما يشير إلى أن الرسول (ﷺ) لم يضق ذرعاً بالسؤال ...

---

١ – صحيح البخاري كتاب العلم ج ١ ص ٢٥ . .

٢ – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٣٢٥ بتصرف .

ويضاف إلى ذلك إلى أن من حق المعلم : الموجه – الداعية – المرشد – أن يوجه سؤالا إلى التلميذ يوجهه فيه الوجهة المفيدة .... كما كان يفعل الرسول (ﷺ) كأنه يحضر الأجوبة التي تهم المصلحة العامة كما يقول عز شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

كان ذلك كله منطلقا من القرآن في دعوته (ﷺ) .

يقول د/ الغمراوى :

نبينا محمد رسول الله (ﷺ) أكرم الخلق على الإطلاق ، وأسماهم مقاما وأعزهم شأنا .

كتب في عظمته (ﷺ) المتقدمون والمتأخرون فما بلغوا على اجتهاد المجتهدين منهم كفاء قدره وفضله .

لكن المتقدمين كانوا أكثر من المتأخرين توفيقا ، وأقوم فيما كتبوا طريقا ، وأصدق نظرا ، وأكثر تحقيقا .

وما بالمتأخرين قلة استعداد أو فهم – ولكن بهم غرور وتقليد ، لعله أصل ذلك الغرور : بهم تقليد للمستشرقين فيما كتبوا ، وفي المنهج الذي سلكوا حين عرضوا للسيرة ينقدونها ، وللرسول الأعظم يزنونه – زعموا – ويقدرونه .

وللنقد آفة يؤتى الناقد من قبلها إن لم يفطن لها ، هي شعور الإشراف والاستعلاء على المنقود .

هذه الآفة يصبح قليلها كثيرا وصغيرها كثيرا حين تعرض للناقد في الموضوع العظيم الخطير ، فإذا كان الموضوع هو أعظم المواضيع الإنسانية قاطبة وأكبرها وأخطرها عاقبة ، كموضوع تناول حياة الرسول بالوزن ، وشخصيته الكريمة بالتحليل – زعموا – وبالنقد فإن الغرور القليل المعفو عنه في غير هذا يصبح هنا جرما وإثما ، ويفضي إلى الباطل حتما فإذا اقترن غرور الاستشراق هذا باعتقاد المستشرق من البداية بطلاق دعوة النبي المخالفة لدين المستشرق فقد ركب الباطل باعتقاده هذا ركوبا يحول بينه وبين لقاء الحق) أ . هـ

قال البزار حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالا: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء قال عكرمة : أراه قال في دم فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا ثم قال " أحسنت إليك ؟ " قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفوا فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال " إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت " فزاده رسول الله ﷺ شيئا وقال " أحسنت إليك ؟ " فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. قال النبي ﷺ " إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم فقال نعم . فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ " إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال وأنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي كذلك يا

أعرابي ؟ " فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي ﷺ " إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا . فقال لهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإني لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار " رواه البزار ثم قال لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه " قلت " وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم . نقلا عن تفسير ابن كثير آخر سورة لتوبة .

تعقيب

ألا حظ حكم الإمام ابن كثير على الحديث بأنه ضعيف وهو محدث مفسر .. ومع ذلك فإن السادة العلماء يقولون " الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ومع استشعارنا بأن هذا الحديث.

أ - لا يصطدم بالقواعد الكلية للدين .

ب - وله دوره في وصل ما أمرنا الله به .

ج - وفي نظري أنه لا يتعارض مع نص من نصوص الشرع الحكيم فمن هنا نقول :

إن هذا الحوار الذي دار بين الداعية والمدعو .. حقق لنا دروسا نتطلع إليها في مجال الدعوة ...

منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً : الرسول – الداعية سئل فأعطي .. الموجود .. والجود كما يقولون أن تجود بما هو موجود . إلا أن الأعرابي .. فيه من الجفاء والغلظة ما فيه ولذلك سأله الرسول وهو طبيب النفوس .

ثانياً : أحسنت إليك وللسؤال مغزى ... إنه يصفى هذه النفس من ظلمة القوة .. والغلظة والقسوة ...

ثالثاً : فإذا بالأعرابي يشتاط غضبا ولا أجملت ...

رابعاً : وهنا نلحظ رفق الداعية بالمدعو .... واستخدام أسلوب اللين ... مع هذا الجاهل ...

خامساً : بعض المسلمين يهموا بتأديب المدعو الأعرابي لا إن الرسول يقول لهم كفوا ... فزاد الأعرابي في العطية بعدما انتقل إلى بيته ﷺ .

سادساً : ثم قال له أحسنت إليك فقال الأعرابي نعم ثم دعا الرسول هنا يعمل بقوله تعالى : ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ وهكذا يجب أن يكون الداعية الراغب في هداية الناس فالرسول يعظ المدعو ... أكثر من مرة حتى يدعو له ... مع ملاحظة أنه لم يستخدم عصا ولا دبابة ولا صاروخا فديننا دين القول اللين والكلمة الطيبة الهادئة الوديعة فإلى الإسلام يا أمة الإسلام .

جئتكم بالذبح

قال ابن إسحاق إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوا وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر ،

والكهانة ، والجنون ... مر بهم رسول الله ﷺ طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرف ذلك في وجهه ﷺ ثم مر بهم ثانية فغمزوه ثم الثالثة بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع [١] .

وقد وصف الله همزهم وغمزهم له ﷺ بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٢] .

تعليق :

إن خطاب الرسول ﷺ شديد اللهجة لماذا ؟؟

لأن قريشاً لم تترك أسلوباً أو وسيلة لإيذاء النبي ﷺ والذين آمنوا معه .. إلا وسلكوها .. فلقد طف الصاع ووصل ضيق الصدر إلي درجة الغليان .. والغضب إلي درجة ١٠٠ % فها هو رسول الله المبشر بالخير لا بد وأن يجمع مع هذه البشارة النذارة فلابد أن يكون نذيراً فكان قوله (ﷺ) لقد جئتكم بالذبح رداً على سفاهة قريش ....

مع ملاحظة اللام وقد للتحقيق وجئتكم أنتم بالذات وكاف الخطاب لكم جميعاً بالذبح .. مع أن ذلك لم يك من أخلاق الرسول إلا أن موضع الندي موضع السيف يكون خطأ فلابد من

---

١ - السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣٠٨ بتصرف .

٢ - سورة القلم الآية : ٥١ .

موضع السيف في موضعه فجاء قول الرسول (ﷺ) درساً عملياً لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى (ﷺ) .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] .

هذه صفات ثلاث داخل صفة واحدة فقد كان يكفي (من أنفسكم) ذلك أن يكون الداعية من قومه الذين بعث إليهم يجعله أقدر على خطابهم ، لكن في التعبير الأول والثاني إيحاء عاطفي يعجز غيره عن أدائه (فلان منا) كافية للتآلف كافية للمحبة ، كافية للثقة ، (هو جزء منا) يحس بما نحس به ويحتمل بما نحتمل به ، ويأمل فيما نأمل فيه (عزيز عليه ما عنتم) يعز عليه أى عنت أو ضيق يصيبكم فلا ينام لمصابكم ، ولا يأكل إن جعتم ولا يشرب إن عطشتم ، ولا يلبس إن تعريتم ، فإن القائد الذي فيه هذه الصفات ؟؟

رأيناها في رسول الله (ﷺ) ويتمثلها خلفاؤه .

وعمر أحدهم حيث تمسك بها ، وحاول بعض قادة الحركات الإسلامية أن يكون كذلك .

• حريص عليكم) حريص على دينكم – وحريص على أنفسكم ، وأموالكم وأعراضكم ، وعقولكم ، فهو يدفع عن هذا كله ويود أن يحفظه لكم ، (بالمؤمنين رؤف رحيم) والرأفة والرحمة من جنس واحد ، ولكن اجتماعهما يوحي بالرحمة

---

١ – سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

الحانية والرأفة البالغة ، والإنسان يحب الرحيم ويحب الرؤف ، فكيف بالداعية إن كان رؤفاً رحيماً .. ألا فليتعلم الدعاة كي لا يفضون الناس من حولهم كيف يتخلقون بخلق الداعية الرؤف الرحيم محمد (ﷺ) [١] .

هذه هي أوصاف سيد الدعاة (ﷺ) وعلى الدعاة إلي الله عز وجل الذين يقتدون برسول الله (ﷺ) أن يأخذوا من هذه الصفات بحظ وافر ، وينظروا في القرآن الكريم نظر اعتبار وتدبر ، فيأخذوا من حديث القرآن عن رسول الله (ﷺ) ما يصقل سيرهم في طريق الدعوة إلي الله تعالي ومن المعلوم أن الله عز وجل أوجب علينا طاعة الرسول (ﷺ) ، والذي يخرج على هذه الطاعة مكابر وعاص وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [٢] .

(حريص عليكم) أى على إيمانكم وصلاتكم .

وقال قتادة : حريص عليكم أى على ضالكم أن يهديه الله (بالمؤمنين رؤف رحيم)

(رؤف بالمطيعين ورحيم بالمؤمنين) [٣] .

---

١ - أصول الدعوة د / علي جريشه ص ٦٦ بتصرف .

٢ - سورة النساء الآية : ١٥٥ .

٣ - مختصر تفسير البغوي ج ١ ص ٣٨٨ .

فها هو الرسول (ﷺ) إمام الدعاة بل سيدهم (ﷺ) يحرص على هدايتنا جميعاً .. ويكره لنا الكفر وينفرنا منه .. وهو أرحم بالناس من والديهم ولذلك وجب علينا الإيمان به (ﷺ) نبيا مرسلا ونعظمه (ﷺ) ونعزره ونوقره (ﷺ) .

مع ملاحظة أن هذه الأوصاف متبقة من الله الكبير المتعال فهو أرحم الراحمين ورحمته وسعت كل شيء وها هي سور القرآن تتصدر كلها إلا واحدة ببسم الله الرحمن الرحيم .

كما وصف بأنه أرحم الراحمين سبحانه وتعالي في أربعة مواضع .. وهذا عدا المرات الكثيرة التى أضيفت فيها الرحمة لله عز وجل فهيا بنا إلي الرؤف الرحيم ﷺ في توجيهاته ﷺ لصالح الفرد والمجتمع ..

وعلينا أن نتجاوب معه ونتأسى به ونقتدي به كما تجاوبت معه ﷺ الكائنات جميعاً – الجماد – الحيوان – النبات ...

وها هو حنين الجذع من دلائل نبوته ﷺ .

حنين الجذع من دلائل نبوته ﷺ .

(عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلي شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار – أو رجل – يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟؟ قال إن شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلي المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين

الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كنت تسمع من الذكر عندما) [١] .

قال ابن حجر : وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد خلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان وقيل قد أعطي محمد ﷺ ما أعطي نبي غيره ، فقد أعطي عيسى إحياء الموتى ، وأما محمد ﷺ فقد أعطي حنين الجذع حتى سمع صوته والجذع أصلاً لا يتكلم فهو أكبر من ذلك) [٢] .

ونحن في مجال الدعوة :

نثبت هنا رحابة قلب النبي ﷺ للجميع فإذا كانت الجبال أوبت مع داوود فإن الجذع تجاوب مع رسول الله ﷺ ، وها هو الرسول ﷺ يخاطب الجماد .. بل إن الذئب كلمه ﷺ وهذا كله يثبت أن الرسول ﷺ رحمة للعالمين حتى عالم النبات .. ففي روسيا في العصر الحديث اليوم أثبتوا أن النبات له إحساس وحركه ، وهذا في النبات الحي أما النبات الذي جف فإنه يتجاوب مع رسول الله ﷺ وهذا دليل على عالمية الرسول ﷺ .

في العقيدة

بدأ الرسول ﷺ دعوته بالكلمة الطيبة .. الهادئة .. فلم يهدد أحداً وحينما جاءه ملأ من قريش يقولون له ....

---

١ – أخرجه البخاري في ك المناقب باب علامات النبوة ج ٦ ص ٦٠١ رقم ٣٥٨٤ .

٢ – فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٦٠٣ بتصرف .

إن آلهتنا نعرف نسبها ...

فانسب لنا ربك ؟

الجواب الإلهي :

الذي رد عليهم هو الله عز وجل .. بسورة تشتمل على توحيد الأسماء والصفات ...

(عن أبي كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالي : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (١) .

هكذا يقف المعاندون للدعوة بالمرصاد .. ويكيدون لها كيداً ومع أن السؤال في غير محله !؟

تعليق :

فالقضية هنا قضية عقيدة ، والقوم على غاية ما يكون الضلال والسؤال سؤال الجهال ..

ومع ذلك فإن الداعية أو المربي لا يبخل ولا يضن بتصحيح المفاهيم اعترافاً منه بحق الإنسان في أن يتبين النجدين أيهما أهدى سبيلاً وذلك بمحض اختياره .

لا إكراه في الدين :

روي البخاري في الجنائز عن أنس رضي الله عنه أنه قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد

---

١ - سورة الإخلاص – تفسير بن كثير ج ٤ ص ٦٠٠ .

عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلي أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار) أ . هـ .

وبالتأمل في ذلك ندرك دروساً منها ما يلي :

١ - الرسول ﷺ الداعية بل سيد الدعاة لم يفرض عليه الإسلام في بيته هو مع أنه خادمه ..

٢ - ولكنه عرض عليه الإسلام في داره - أى في دار المدعو - والفرق شاسع .. حتى لا يقال هناك .

٣ - جهاز للداعية وظيفته فرض الدعوة على الناس بالإكراه .

٤ - وها هو المدعو ينظر إلي والده اليهودي .. كأنه يشاوره - ما رأيك فإذا به يقول أطع أبا القاسم - ولم يقل محمد رسول الله ﷺ .

٥ - وهو بذلك أطلق الحرية للإبن في هذه اللحظات الحرجه .. إنه مريض ... ورسول ﷺ مع أنه أعظم البشر يعوده (أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده) .

٦ - وها هو نتيجة الزيارة يسلم الشاب اليهودي بإرادته ... وبدون ضغط .

وهذا يذكرني بموقف الرسول ﷺ من عمه .

روي الشيخان عن المسيب [١] رضي الله عنه أنه لما حضرت أبو طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ يعوده فقال له :

(يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله)

فها هو عم الرسول لم يقل ذلك ولم ينطق بالشهادتين ولم يطع ويتبع رسول الله .. ونحن نتعجب ولكن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ...

﴿ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ ﴾

ولم يغن نسب أبو لهب الشريف عنه شيئاً لأنه لم يدخل الإيمان ولم وينطق بالشهادتين فكان ذلك جزاء وفاقا .. إن في ذلك لعبرة)

إلا أن الله عز وجل أنزل هذه السورة رداً عليهم وهي تشتمل على أوصافه سبحانه وتعالي تدل عليه وعلى حقيقته عز شأنه ، فلا نذله ولا مثيل له ولا سمي له ...

لأنه الواحد المنفرد سبحانه وتعالي ...

له الأسماء الحسني والصفات العليا ..

ذكر العلماء قاعدتين للأسماء والصفات هما : [٢] .

---

١ – المسيب بن حزن بن أبي وهب .. بن مخزوم القرشي نقلا عن الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٤٢٠ .

٢ – سمعت ذلك من علماء المملكة العربية السعودية في ندوة عن التوحيد الخالص في التليفزيون .

الأولي : آية في كتاب الله تعالي هى قوله تعالي : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ففي الجزء الأول من الآية (ليس كمثله شيء) نفي سبحانه وتعالي عن نفسه أن يكون مماثلاً لشيء من خلقه ، والجزء الثاني من الآية (وهو السميع البصير) فيه إثبات لاسمين من أسماء الله تعالي ، وذلك يتضمن إثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل .

فالجزء الأول من الآية (**ليس كمثله شيء**) يرد به على كل من شبه الله أو مثله بخلقه ، والجزء الآخر من الآية (وهو السميع البصير) يرد به على من نفي من صفاته التى أثبتها لنفسه ، وأنه لا يلزم من إثبات الصفات لله التشبيه بخلقه لأنه ليس كمثله شيء .

القاعدة الثانية في الأسماء والصفات :

هي ما قاله الإمام مالك رحمه الله تعالي عندما جاءه من يسأل عن صفة الاستواء ، فقال له ما معنى استوي ؟؟

فما لبث أن قال : الاستواء معلوم (أى معناه في اللغة) والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه (أى عن الكيف) بدعة ، ولا أراك إلا مبتدعا وأمر بإخراجه من المسجد .

هذه القاعدة تطبق على بقية الصفات ، فنقول السمع معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه ، والإيمان به واجب ..

وكذلك الغضب (معناه معلوم) والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه والإيمان به واجب ..

وهكذا في سائر الأسماء والصفات الثابتة له في الكتاب والسنة الصحيحة من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل أ . هـ

ويضاف إلى ذلك :

أن توحيد الأسماء والصفات يقضي أن نؤمن بكل ما سمي الله به نفسه وبما استأثر الله بعلمه .

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ (إن الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر) [١] .

فالواجب علينا أن نعتقد بأن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في العدد المذكور والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وذهاب همي وحزني وها هو نوح عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [٢] .

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحة ج ١١ ص ٢١٤ ك الدعوات وصحيح مسلم ج ١٧ ص ٥ ، ٦ باب الذكر والدعاء .

٢ – سورة هود آية ٢٥ ، ٢٦ .

وها هو هود عليه السلام :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾ (١) .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٢) .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (٣) .

وها هو إبراهيم عليه السلام يقول لقومه :

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

هذا هو الأساس الذي دعا إليه كل رسول مبلغ عن الله عز وجل لقد جاءت الرسل تترى ترفع هذا الشعار كي تصل المخلوق بالخالق ...

إلا أن الخلق منهم من آمن ومنهم من كفر واتبع شيطانه وهواه .. فقاده ذلك إلي الخسران المبين .. ذلكم لأنه ضل عن

---

١ - سورة هود آية ٥٠ .

٢ - سورة هود آية ٦١ .

٣ - سورة هود آية ٨٤ .

٤ - سورة العنكبوت آية ١٦ .

التوحيد الصحيح .. الذي جاءت الرسل متعاقبة في الدعوة إليه وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١).

فجميع الرسل ، من أولهم لخاتمهم محمد ﷺ جاءوا بالتوحيد ... فاعبدون أي وحدون .. فعبادة الله وحده لا شريك له .. هي الحق وعبادة ما سواه باطلة .. فكل الرسل جاءوا من أجل التوحيد ... الذي أمر الله عز وجل به .. وأقام عليه دينه وأنزل به كتبه .. وبعث به رسله ...

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢).

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

من ملامح المنهج النبوي في الدعوة إلي الله تعالي :

لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلي اليمن أمره أن يدعو أهل الكتاب إلي التوحيد أولا فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذاً قال : بعثني رسول الله ﷺ قال (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض

---

١ - سورة الأنبياء آية ٢٥ .

٢ - سورة الأنعام آية ١٠٢ ، ١٠٣ .

٣ - سورة الأعراف آية ٥٤ .

عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) [١] .

ويلاحظ أن الرسول ﷺ وجه معاذاً رضي الله عنه إلي البدء بالدعوة إلي التوحيد الصحيح وذلك لأنه الأساس

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢] .

فإذا ضل الإنسان عن التوحيد الصحيح فهو أخسر الناس قاطبة لأنه أسس بناءه على باطل .. على شفا جرف هار .. فانهار به في نار جهنم ....

ومن هنا كان التوحيد دعوة الأنبياء قاطبة فكلهم جاءوا بالتوحيد .. الصحيح ...

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً :

١ – أن اعبدوا الله (وحدوه توحيداً صحيحا) .

٢ – (واجتنبوا الطاغوت) [٣] .

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحة في ك الزكاة باب ٤١ ومسلم في صحيحة في ك الإيمان رقم ٢٩ .

٢ – سورة التوبة آية ١٠٩ .

٣ – سورة النحل آية ٣٦ .

وهو كل ما عبد من دون الله عز وجل) . فإذا عبد الإنسان بشراً أو شجرا أو خشباً أو حديداً أو نبياً مرسلاً .. من دون الله يكون قد أشرك مع الله آلهة أخرى .. وضل سعيه وحبط عمله

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (١)

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢) . ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (٣) .

فكل هذه الآيات تدل دلاله واضحة على أن الكافر يذهب عمله أدراج الرياح لأنه لم يؤسس على التوحيد الصحيح .. بل هو مبني على الكفر والتكذيب .. والباطل البعيد ومن هنا جاء التوجيه النبوي لمعاذ رضى الله عنه بأن يبدأ دعوته بما بدأت به الرسل جميعاً ذلكم لأنه أصل الدين .. ولبه ...

وفي هذه الصدد يقول ابن حجر رحمه الله :

ووقعت البداءة بهما – بالشهادتين – لأنهما أصل الدين الذي لا يصلح شيء غيرهما إلا بهما ، فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين ،

---

١ – سورة الفرقان آية ٢٣ .

٢ – سورة النور آية ٣٩ .

٣ – سورة إبراهيم آية ١٨ .

ومن كان موحداً فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة وإن .كانوا يعتقدون ما يقضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول ببنوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم) [١]

فالواجب على الداعية أن يبدأ دعوته .. بالدعوة إلي التوحيد الصحيح – شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ والمطلوب من المدعو أن يفهم معناها وأن يؤمن بها حق الإيمان .. حتى يدرك مقتضي هذه الشهادة ويفهم ما ينقضها حق الفهم .

الدعوة إلي التوحيد:

نحن مأمورين باتباع ملة إبراهيم حنيفاً .. لأنه إمام الموحدين الحنفاء .. ولم يك من المشركين .

قال تعالي : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [٢] .

---

١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٥٨ .

٢ – سورة الممتحنة ٤ ، ٥ ، ٦ . .

البراءة من الشرك والمشركين :

ها هو إبراهيم والذين معه من أهل الإيمان يقولون للذين أشركوا

﴿إِنَّا بُرَءَاء منكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمنوا بِاللَّه وَحْدَهُ ﴾

يقول ابن كثير

أى تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أى بدينكم وطريقكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده أي إلي أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد [١].

أيها المسلم الأساس في الدين قراءة وتنفيذ ذلك فاحذر من موالاة الكافرين .. وها هو إبراهيم عليه السلام تبرأ من الشرك والمشركين .. وتضيف إلي هذه البراءة التصريح بالعداوة كفرنا بكم وظهرت العداوة بيننا وبينكم أبدا.أي على الدوام .. حتى تؤمنوا وتدخلوا في الإيمان ... وهذا من مقتضيات الإيمان ولوازمه.وإلا نكون خائنين لديننا ولنبينا ولإسلامنا ...

فعليك أن تفهم هذا حق الفهم وتحفظه وتعمل به لأن هذا ما يحبه الله عز وجل ويرضاه ...

---

١ - تفسير بن كثير ج ٤ ص ٣٧١ .

انحراف البشر عن العقيدة الصحيحة

إن الإنسان بفطرته يتعرف على ربه سبحانه وتعالى وهذا شعور مستقر في الإنسان على وجه العموم .. ذلكم لان الإنسان جسد وروح وهذه الروح من أمر ربي ومن هنا لابد وأن يفكر الإنسان في وجود إله يحيي ويميت .. يعطي ويمنع .. يضر وينفع .. يعز ويذل .. وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها...

وجاء الإنسان عبر التاريخ ليعبر عن هذه الحقيقة المكنونة في داخله ولقد حكى القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

ويقول عز من قائل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

ويقول تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ويقول عز شأنه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

---

١ - سورة الزخرف آية ٨٧ .

٢ - سورة العنكبوت آية ٦٣ .

٣ - سورة لقمان آية ٢٥ .

٤ - سورة الزخرف آية ٩ .

ويقول تبارك اسمه :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

واستمع إلي قوله تعالي :

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (٢) .

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري
حتي أريك بديع صنع الباري
الأرض حولك والسماء اهتزتا
لروائع الآيات والآثار
من شك فيه فنظره في خلقه
تمحو أثيم الشك والإنكار

كل هذه الآيات البينات تدل دلاله واضحة على أن العرب كانوا يعترفون بالله الكبير المتعال إلا أنهم لم يوحدوه توحيداً صيحاً فجعلوا معه شركاء بزعمهم وبذلك انحرفوا عن العقيدة الصحيحة ضالين عن التوحيد الحق بعبادتهم لأصنامهم التي اتخذوها وسيلة لهذا الإله الحق..

---

١ – سورة العنكبوت آية ٦١ .

٢ – سورة المؤمنون الآيات ٨٤ : ٨٩ .

وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)

وهكذا أخطأ العرب نحو الإله الحق بقولهم :

﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾

وهذا الانحراف عن التوحيد الصحيح يرجع إلي عدة عوامل منها

١ – الهوي الذي ذكره الله عز وجل في قوله :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

٢ – عداء الشيطان للإنسان وغوايته له وهذا ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالي :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٣) .

---

١ – سورة يونس آية ١٨ .

٢ – سورة الجاثية الآية ٢٣ .

٣ – سورة الحجر آية ٣٩ ، ٤٠ .

وقوله في الحديث القدسي : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ولكنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم " (١) .

وفي هذا الصدد يقول أستاذنا المرحوم الدكتور / رؤف شلبي :

٣ - عجز بعض الناس عن التفكير في عظمة الإله الحق فصنعوا الآلهة الأصنام ليشاهدوا فيها بالبصر ما عجزت عن مشاهدته البصيرة ومن غير شك فإن صناعة هذه الأصنام قد دفع إليها ضرب من الخيال .

٤ - كذلك فإن التعرف على الملائكة والمخلوقات اللطيفة لم تقو عليه عقلية بعض الناس فصوروها على أشكال من الأحجار ليتمكنوا من التواصل إلي تخيلها على الشكل البشري أو أي شكل آخر مخلوق يمكنهم الإحاطة بمعرفته ولهذا جعلوا بعض الأصنام على شكل الذكورة وبعضها على شكل الأنوثة ثم نسيت فكرة الملائكة والمخلوق اللطيف وبقيت الأصنام كفكرة ألوهية تقدس وتعبد بل وتدخل في سلوك عبادها إلي درجة أن معنى التوحيد الصحيح قد تاه في كثافة الضباب الثقيل ومن هنا نشأت عبادة الأرواح والأشباح والطبيعة ثم عبادة الأوثان والأصنام .

ثم يقول دكتور رؤف: مضيفا إلى هذه العوامل عاملاً آخر هو :

---

١ - صحيح البخاري ج ٣ ص ١٧٣ .